أحلى السمر فى مناقب عمر ..

وقال الشـــاعر ..

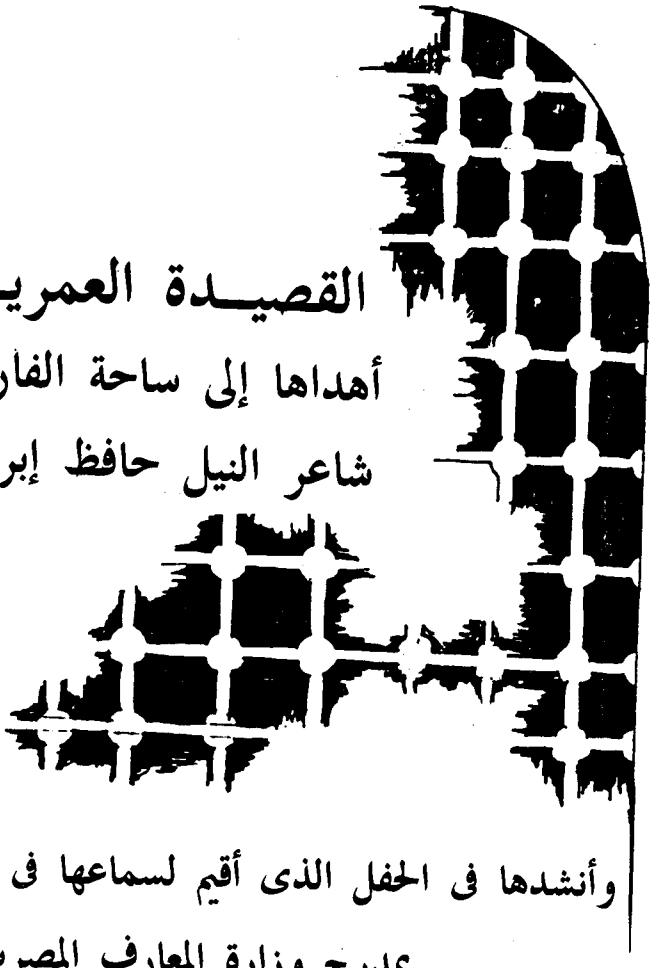

القصيـــدة العمريـــة

أهداها إلى ساحة الفاروق

شاعر النيل حافظ إبراهيم

وأنشدها فى الحفل الذى أقيم لسماعها فى ١٩١٨/٢/٨م

بمدرج وزارة المعارف المصرية

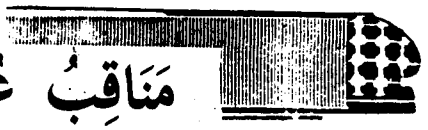

مَنَاقِبُ عُمَر

هَـٰذِى مَنَاقِبُـه فى عَهْـد دولتِـــه
للشّاهدِين ولِلأَعْقَابِ أحْكيها
فى كـلِّ واحـدةٍ مِنْهُـنَّ نَابِلـةٌ
مِنَ الطّبَائِعِ تغذُو نفسَ واعيها
لَعَـلَّ فى أُمَّـةِ الإسلامِ نابتَـــةً
تَجْلُو لحاضِرِهَا مِرْآة ماضيهَا
حتّى ترَى بعضَ ما شادتْ أوائلها
مِنَ الصُّرُوحِ وماعاناهُ بانيهَا
وحَسْبُها أن تَرَى ما كان مِنْ عُمَرٍ
حتَّى يُنَبِّهَ منها عَيْنَ غافيها

حافظ إبراهيم

القصيدة العُمَرية

تمهيد :

يكفى الشعر والشاعر فخرا أنه يهدى هذه القصيدة إلى ساحة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

والمقام جليل ومن أجل هذا نرى الشاعر يستعين بالله على قضاء ما لعمر من حقوق عليه ، وأن يلهمه من شريف المعانى ما يوفيه حقه فيقول مفتتحا قصيدته :

عمر بن الخطاب

١) حَسْبُ القَوافى وحَسْبى حينَ أُلقيها ... أنّى إلى ساحَة (الفارُوق) أُهْديها

٢) لاهُمَّ ! هَبْ لى بَيانًا أَسْتَعينُ به ... على قَضَاءِ حُقُوقٍ نامَ قاضيها

٣) قد هزَّعَتْنِى نفسى أنْ أوَفِّيَهَا ... وليس فى طَوْقِ مثلى أنْ يُوَفِّيها

٤) فُمر سَرِىَّ المَعَانِى أنْ يُوائِنِى ... فيها فإنّى ضَعِيفُ الحالِ واهيها

مقتل عُمَر !

وينتقل حافظ إبراهيم إلى تناول مقتل عمر – رضى الله عنه – بيد أبى لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسى الأصل ، وكان قد شكا إلى عمر – رضى الله عنه – ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة ، ورجاه فى تحقيقه فلم يجبه إلى ما طلب ، فأسرّها فى نفسه ، وتحيّن به الفرص حتى طعنه بخِنجره وهو قائم يصلى .

ويقال : إن مقتل عمر كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسى ، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الغرض .

ونرى حافظ إبراهيم يدعو على قاتله بالحرمان من رحمة الله كما حرم الأمة من خليفتها العادل فأصبحت دولة الإسلام حائرة بعده ..

---

(١) الفاروق : اسم لعمر بن الخطاب سماه الرسول ﷺ به لأنه فرّق بين الحق والباطل .

(٢) لَاهُمَّ : مثل اللّهم فَهُمَا بمعنًى .

(٣) وليس فى طوق مثلى : أى فى طاقته أو استطاعته .

(٤) سرِىّ المعانى : رفيعها وشريفها . ويوائينى : يطيعنى لأعبر عَمَّا له علىَّ من حقوق .

ويُقْسم حافظ أن الموالى هم الذين كادوا لأمتنا واغتالوها ولولا الاستعانة بهم لما نعى على الأيام ناعيها ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا فى إسقاط دولة بنى أمية ، وإضعاف الدولة العباسية حتى سقطت .

إنه يقول :

٥) مَوْلَى المُغيرة ! لا جادَتْكَ غاديَة ... مِنْ رَحْمَة الله ما جادَتْ غَواديها
٦) مَزَّقْتَ منه أديمًا حَشْوهُ هِمَمٌ ... فى ذمة اللهِ عالِيها وما ضيها
٧) طَعَنْتَ خاصرَةَ (الفارُوق) مُنْتَقِمًا ... من الحنيفة فى أعلى مَجاليها
٨) فأصْبَحَتْ دَوْلَةُ الإسلامِ حائِرةً ... تَشْكُو الوَجيعةَ لمّا ماتَ آسيها
٩) مَضَى وخلَّفَها كالطَّودِ راسِخةً ... وَزَانَ بالعَدْل والتَّقْوَى مَغانِيها
١٠) تَنْبُو المَعاولُ عنها وهى قَائِمةٌ ... والهادمُون كثيرٌ فى نواحيها
١١) حَتَّى إذا ما تَوَلَّاها مُهَدِّمُها ... صاحَ الزَّوالُ بها فانْدَكَّ عالِيها
١٢ واهًا على دَوْلَةٍ ! بالأمْس قد مَلأَتْ ... جَوَانِبَ الشَّرْق رَغْداً مِنْ أياديها
١٣) كَمْ ظَلَّلَتها وحاطَتْها بأجْنِحةٍ ... عَنْ أعْيُنِ الدَّهْرِ قد كانت تُواريها
١٤) من العناية قد ريشت قوادمها ... ومن صميم التُّقى ريشت خوافيها
١٥) والله ما غالَها قِدْماً وَكادَ لها ... وآجَتَّ دَوْحَتَها إلَّا مَواليها

---

(٥) الغادية : السحابة تغدو مبكرة . والبيت دعاء عليه بالحرمان !
وجادتك : أمطرتك .
(٦) الأديم : الجلد والجسد .
(٧) الخاصرة : الخصر : وفى أعلى مجاليها. يقصد فى أوضح مظاهرها . والحنيفة دين الإسلام .
(٨) آسيها : الآسى الطبيب المداوى والجمع أساة .
(٩) الطَّود : الجبل العظيم . والمغانى : جمع مغنى والمراد بها المنازل .
(١٠) تنبو : ترتدّ وتكلّ دون أن تصيبها ، والمعاول : جمع مِعْول : آلة الهدم .
(١١) اندك : تهدّم وسقط .
(١٢) واهًا : كلمة تعجب ، وتأتى للتلهف والتفجيع . رغْداً : طيب عيش . والأيادى : النعم .
(١٣) كَمْ ظللتها : أى كَمْ ظللت هذه الدولة جوانب الشرق .
(١٤) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش . الواحدة قادمة والخوافى : صغار الريش وهى تحت القوادم . والمراد أنها كانت تظلل جوانب الشرق بأجنحة من العناية والتقوى .
(١٥) غالها : اغتالها وأهلكها . قدما : قديما . واجتث : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة واسعة الظل . والجمع دوح وأدواح . مواليها : غير العرب . وقد نكبت الدول الإسلامية على أيديهم .

١٦) لو أنَّها فى صميم العُرْب قد بَقيتْ لمَـا نعاهـا على الأيّـام نـاعيها
١٧) يا لَيْتَهُمْ سَمِعُوا ما قاله (عُمَرٌ) والـرُّوحُ قـد بَلَـغَتْ منـه تـراقيها
١٨) لا تُكْثِرُوا منْ مَوَالِيكُم فإنّ لهمْ مَطَامعـاً بَسَمَـاتُ الضَّعْـف تُخْـفيها

إسـلام عمـر

ويعود حافظ إلى القصة من البداية فيتناول إسلامه وآراءه الموفقة التى كان القرآن يؤيّدها وبعد أن كان أعدى أعداء الدين صار بنعمة الله للدين حصنا من أعاديه .

ويبسط قصة إسلامه مبينا أثره فى عزة الإسلام والمسلمين مبينا منزلته فى زمن المختار والصدّيق حيث كان موضع الشورى بمالَهُ من رأى سديد فيقول :

١٩) رأيتَ فى الدِّين آراءً مُوَفَّقَـةً فَأنْـزَلَ اللهُ قُرآنـاً يُـزَكِّيها
٢٠) وكنتَ أوّلَ مَنْ قَرَّتْ بصُحْبَتِه عَيْـنُ الحَنيفَـة واجتـازَتْ أمانيهـا
٢١) قد كنتَ أعْدَى أعاديها فصِرْتَ لها بنِعْمَـةِ اللهِ حِصْنـاً مـن أعـادِيها
٢٢) خَرَجْتَ تَبْغِى أذاهَا فى (محمّدِها) وللحَنيفَـة جَبّـارٌ يُـوالِيها

---

(١٦) صميم العرب : العرب الخُلّص . نعاها : بكاها ورثاها .
(١٧) التراقى : جمع ترقوة . وهى عظمة مشرفة بين ثُغْرة النحر والعاتق . وهما ترقوتان . وبلغت الروح التراقى : شارف الموت .
(١٨) مطامع : أطماع وتطلعات للنيل من الإسلام ودولته .
(١٩) يزكيها : يؤيدها ويعززها . ويشير حافظ بهذا البيت إلى ما كان من عمر - رضى الله عنه - حيث كان يرى الرأى فينزل القرآن موافقا لرأيه حتى بلغت موافقاته نيّفا وعشرين آية ، منها آية التحريم فى الخمر لما قال : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا» ومنها آية الاستئذان فى الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائما ، فقال : اللهم حرّم الدخول » فنزلت آية الاستئذان .
(٢٠) قرّت : نعمت . الحنيفة : الدين الإسلامى والملة المستقيمة .
(٢١) يشير حافظ - رحمه الله - إلى ما عرف عن عمر من شدته على النبى ﷺ والمسلمين قبل إسلامه ، ثم ما كان منه بعد الإسلام من إعزاز الإسلام بدخوله فيه .
(٢٢) يواليها : يناصرها ؛ فالله مولى المسلمين ويشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده إلى السبب فى إسلام عمر حيث خرج فى يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبى ﷺ فلقيه نعيم بن عبد الله ، وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد ؛ وعيّره بذلك، فرجع عمر إليها غاضبا ، وكان عندهما خبّاب بن الأرتّ ، ومعه صحيفة فيها « سورة طه » يُقرئها إياها ، فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختفى خبّاب ، ودخل عمر ، فعثر على الصحيفة ، وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه إلى الإسلام ، فقصد إلى النبى ﷺ وأسلم على يديه .

٢٣) فلَم تَكَدْ تَسْمَعُ الآيات بالِغةً ... حتى آنْكَفَأْتَ تُناوى مَنْ يُناويها

٢٤) سَمِعْتَ (سُورَةَ طَه) منْ مُرَتِّلِها ... فَزَلْزَلَتْ نِيَّةً قد كنتَ تَنْويها

٢٥) وقُلْتَ فيها مقالًا لا يُطاولُه ... قَوْلُ المُحِبِّ الذى قد باتَ يُطْريها

٢٦) ويومَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الحَقُّ وارتَفَعَتْ ... عن كاهل الدِّين أَثْقالٌ يُعانِيها

٢٧) وَصاحَ فيه (بِلَالٌ) صَيْحَةً خَشَعَتْ ... لها القُلوبُ ولَبَّتْ أَمْرَ بَارِيها

٢٨) فأنتَ فى زَمَنٍ (المُخْتار) مُنْجِدُها ... وَأَنْتَ فى زَمَن (الصِّدِّيق) مُنْجيها

٢٩) كَمْ استراك رَسُولُ الله مُعْتَبِطاً ... بِحِكْمَةٍ لكَ عند الرَّأْيِ يُلْفيها

(عمر وبيعة أبى بكر)

ويتناول حافظ موقف عمر – رضى الله عنه – بعد المصطفى وما كان من مبايعتِهِ أبا بكر على الخلافة حيث أطفأ الفتنة وبايعه الجميع .

ويشير حافظ إلى الدهشة التى أصابت عمر حين علم بنبأ موت الرسول ﷺ وقد أنساه حبه له أنه بشر ، وكأنما لم يقرأ الآية التى تحدثت عن موته ، ولكن سرعان ما ثاب إليه رشده فانجابت الظلم ، وتذكر ما كان ناسيا .

ولقد كان يوم السقيفة يوما مشهودا كان عمر صاحبه حيث شيد أسس الخلافة لمَّا مدت الأوس كفًّا لها ، وراحت الخزرج تباريها وظن كل فريق أن صاحبهم أولى بها فانبرى لهم عمر فارتد طامعهم عنها وتولّى أبو بكر فمكن لها ووثق صِلاتِها وقوّاها .

---

(٢٣) انكفأت : انقلبت ورجعت . تناوى : تناوىء وعادى من يعاديها ويناوئها .

(٢٤) نيةً : يريد النِّيَّةَ التى كان ينويها عمر قبل إسلامه من خروجه لإيذاء الرسول ﷺ .

(٢٥) لا يطاوله : لا يغالبه . وأطراه يُطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ فى مدحه .

(٢٦) كاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . والمراد أن المسلمين تخلصوا مما كانوا يعانونه .

(٢٧) بلال : هو ابن رباح ، وكان مولًى لأبى بكر الصديق – رضى الله عنه – اشتراه ثم أعتقه ، وكان له خازنا ، ولرسول الله ﷺ مؤذنا ويشير الشاعر بهذا البيت إلى إظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعدما كانوا يخفونه خوفا من المشركين ، وجهر بلال بالأذان .

(٢٨) المختار : النبى ﷺ الذى اختاره الله ، والصديق : أبو بكر أول الخلفاء .

ويشير فى نهاية البيت إلى الخلاف الذى سبق مبايعة أبى بكر وحسم عمر يوم السقيفة ذلك الخلاف ، ومناصرته لأبى بكر مدة خلافته .

(٢٩) كم استراك : كثيراً ما استرءاك ، أى : طلب رأيك .

إنه يقول :

٣٠) ومَوْقِفٍ لكَ بَعْدَ (المُصْطفى) افْترقتْ ... فيه الصحَابةُ لمّا غابَ هاديها

٣١) بايَعْتَ فيه (أبا بَكْرٍ) فبايَعَه ... على الخِلافَةِ قاصِيها ودانيها

٣٢) وأطْفَئتْ فتْنَةٌ لولاكَ لاستَعَرَتْ ... بين القَبائِلِ وانسابَتْ أفَاعيها

٣٣) باتَ النبيُّ مُسَجًّى فى حَظِيرَتِه ... وأنتَ مُسْتَعِرُ الأحْشَاءِ داميها

٣٤) تهيمُ بين عَجيجِ الناسِ فى دَهَشٍ ... منْ نَبْأةٍ قد سَرَى فى الأرض ساريها

٣٥) تَصِيحُ مَنْ قال نَفْسُ المصطفى قُبِضَتْ ... عَلَوْتُ هامَتَه بالسَّيْفِ أبْريها

٣٦) أنْساكَ حُبُّكَ طَه أنّه بَشَرٌ ... يُجْرِى عليه شُئونَ الكَوْنِ مُجْريها

٣٧) وأنّهُ وارِدٌ لابدّ مَوْرِدَهُ ... منْ المَنِيَّةِ لا يُعْفيه ساقيها

٣٨) نسيتَ فى حَقِّ طَه آيةً نَزَلَتْ ... وقد يُذَكِّر بالآياتِ ناسيها

٣٩) ذَهِلْتَ يوما فكانت فتْنَةٌ عَمَمٌ ... وَثَابَ رُشْدُكَ فانجابَتْ دياجيها

---

(٣٠) يشير إلى إختلاف المسلمين فى يوم السقيفة بعد موت النبى ﷺ وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة فى إختيار خليفة لهم ، وإلى فضل عمر يومها فى جمع الكلمة حين أسرع بمبايعة أبى بكر .

والمراد بغياب هاديها : موت النبى ﷺ .

(٣١) قاصيها ودانيها : البعيد والقريب . والمراد : الجميع .

(٣٢) استعرت : اتقدت واشتعلت . والأفاعى : جمع أفعى . والمراد دُعاة الشر والفرقة .

(٣٣) مسجّى : مغطّى . الحظيرة : الموضع . وحظيرة القدس : الجنة . مستعر الأشحاء داميها : كناية عن الحزن والأسى العميق على فراق الرسول ﷺ .

(٣٤) تهيم : تمشى دون أن تدرى أين تذهب . وعجيج الناس : صياحهم وأصواتهم المرتفعة . والنبأة : الصوت الخفى .. ويريد نبأ وفاته ﷺ ويشير بهذا البيت ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ إلى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبى ﷺ حتى إن عمر وقف بينهم يهددهم بقطع رأس كل من يقول : «مات محمد» حتى جاءهم أبو بكر فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ [١٤٤ : آل عمران] الآية . فعادوا إلى صوابهم .

(٣٥) الهامة : الرأس . أبريها : أخلصه منها .

(٣٦) مُجريها : مدبر الكون وهو الله سبحانه وتعالى .

(٣٧) المنية : الموت . ووارد : شارب .

(٣٨) الآية هى قوله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ... ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

(٣٩) فتنة عَمَمٌ : عامّة عمت الناس وشملتهم . وانجابت : انقشعت ، وزالت . والدّياجى : الظلمات . والدُّجية : الظلمة وجمعها دُجى .

٤٠) فللسقيفةِ يومٌ أنتَ صاحبُه ... فيه الخِلافةُ قد شيدَتْ أواسِيها
٤١) مَدَّتْ لها (الأوْسُ) كَفًّا كَيْ تناوَلَها ... فمَدَّت (الخَزْرَجُ) الأيْدى تُباريها
٤٢) وظَنَّ كُلُّ فَريقٍ أنّ صاحبَهُمْ ... أوْلَى بها وَأتَى الشَّحْناءَ آتِيها
٤٣) حتّى انبَرَيْتَ لهمْ فارتدّ طامعُهُمْ ... عنها وأخْمى (أبو بَكْرٍ) أواخيها

عمر وعلىّ

وتحت هذا العنوان يحدثنا الشاعر عن موقف على - رضى الله عنه - من بيعة الصديق ، وما كان من عمر تجاه عدم مبادرته إلى البيعة .

ثم ذكر أن كليهما كان ذا عزيمة قوية فى الحق ، وأنهما أجدر بالذكر والترحم كلما ذكر الذاكرون من كانوا متعبدين ومتنسكين .

٤٤) وقَوْلَةِ (لَعلِّى) قالَها (عُمَرٌ) ... أكْرِمْ بسامِعِها أعْظِمْ بمُلْقِيها
٤٥) حَرَقْتُ دارَكَ لا أُبْقى عليكَ بها ... إنْ لم تُبايِعْ وبِنْتُ المصطفَى فيها
٤٦) ما كان غيرُ (أبى حَفْصٍ) يَفُوهُ بها ... أمامَ فارس (عَدْنانٍ) وحاميها
٤٧) كلاهُمَا فى سَبِيلِ الحَقِّ عَزْمَتُه ... لا تَنْثَنِي أو يكونَ الحَقُّ ثانِيها
٤٨) فاذْكُرْهُمَا وترَحَّمْ كُلَّما ذَكَرُوا ... أعاظِمًا أَلَّهُوا فى الكَوْنِ تَأْلِيها

(عمر وجبلة بن الأيهم)

وتحت هذا العنوان يتناول الشاعر قصة عمر - رضى الله عنه - مع فتى غسان جَبَلَةَ بن الأيهم أحد أبناء الغساسنة ملوك الشام الذى كان قد اعتنق الإسلام ، وبينما هو يوما يطوف إذ وطىء أعرابى ثوبَه ، فلطمه جَبَلَةُ لطمة هشمت أنفه ؛ فشكاه الأعرابى إلى عمر ، فأمر أن يقتص منه ، وأبى جبلة ذلك ، وهرب ، والتجأ إلى

---

(٤٠) السقيفة مكان إجتماعهم . الأواس : جمع آسية . العمود .
(٤١) مدت لها : أى للخلافة وكذلك تناوَلَها . والأوس والخزرج قبيلتا الأنصار . وتباريا : نازعها الغلبة على الخلافة .
(٤٢) صاحبهم : أى الذى نصبوه للخلافة منهم .
(٤٣) أخمى أواخيها : أى مكّن لها ووثق صلاتها . والأواخى العُرَا : والواحدة آخِية .
(٤٤) يشير بهذه الأبيات من ٤٤ إلى ٤٧ إلى تخلف على عن المبادرة بالبيعة لأبى بكر ، وحرص عمر على جمع الشمل عملا على وحدة الأمة .
(٤٨) التأليه : التعبيد ، وفلان يتأله : أى يتعبد ، والتأله : التنسك والتعبد .

القسطنطينيّة وتنصّر .

إنه يقول :

٤٩) كَمْ خفتَ فى الله مَضْعُوفاً دَعاك به ... وكَمْ أَخَفْتَ قَوِياً يَنْثَنِي تِيهَا

٥٠) وفى حَديث فتَى غَسّانَ مَوْعظَةٌ ... لكُلِّ ذى نُعْرةٍ يأبَى تَنَاسيها

٥١) فما القَوىُّ قَوِيًّا رَغْمَ عِزَّتِه ... عند الخُصومَة (والفارُوقُ) قاضيها

٥٢) وما الضَّعيفُ ضعيفًا بعدَ حُجَّتِه ... وإنْ تخَاصَمَ وَاليهَا وَراعَيها

(عمر وأبو سفيان)

وتحت هذا العنوان يتناول شاعرنا ما كان بين عُمَرَ وأبى سفيان حيث رُوِىَ أن معاوية – وهو على الشام – بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدهم (قيد) وكتب إلى أبيه أبى سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر ، فذهب أبو سفيان بالأدهم والكتاب إلى عمر ، واحتبس المال لنفسه ، فلما قرأ عمرُ الكتاب قال : فأين المال يا أبا سفيان ؟ قال : كان علينا دين ومعونة ، ولنا فى بيت المال حق ، فإذا أخرجت لنا شيئا قاضيتنا به ، فال عمر : اطرحوه فى الأدهم ، أى : القيد حتى يأتى المال ، فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال ، فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم ، فلما قدم الرسول على معاوية قال :

أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم ؟ قال : نعم ، وطرح فيه أباك ! قال : ولِمَ ؟

قال : جاء بالأدهم وحبس المال ، قال : أى والله . والخطَّابُ لو كان لطرحه فيه .

إنه يقول :

---

(٤٩) المضعوف : الضعيف على غير قياس . ففعله أضعف فهو مُضْعَف . ودعاك به : أى بالله . وتيها : كبرا .

(٥٠) فتى غسان : جبلة بن الأيهم . والنُّعَرة : (بضم النون المشددة وفتح العين وسكنت لضرورة الشعر) الخُيَلاء والكبر .

(٥١) يشير إلى قوله : والقوى عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه .

(٥٢) يشير إلى قوله : والضعيف عندى قوى حتى آخذ الحق له .

٥٣) وما أقْلَتَ (أبا سُفْيانَ) حينَ طَوَى عَـنكَ الهَديّـةَ مُعْتَـزًّا بمهـديها
٥٤) لَم يُغْن عنه وقد حاسَبْتَه حَسَبٌ ولا (مُعاويـةٌ) بـالشامِ يَجْـبِيها
٥٥) قَيَّدْتَ منه جَلِيلًا شاب مَفْرِقُه فى عـزّةٍ لـيسَ مـنْ عـزٍّ يُدانيهـا
٥٦) قـد نَوَّهُـوا بـاسمه فى جاهليّتِـه وزادَه سَيِّـدُ الكَوْنَيْـنِ تَنْـويها
٥٧) فى فَتْحِ مَكَّةَ كانت دارُه حَرَمًا قـد أَمَّـنَ اللهُ بعـد البَـيت غـاشيها
٥٨) وكلُّ ذلك لم يَشْفَعْ لَدَى (عُمَرٍ) فى هَفْـوَةٍ (لأبى سُفْيـانَ) يَـأْتيها
٥٩) تـاللهِ لـو فَعَـلَ (الخَطَّابُ) فَعْلَتَـه لمَـا تَـرَخَّصَ فيها أو يُجـاريها
٦٠) فـلا الحَسابَـةُ فى حـقٍّ يُجاملُهـا ولا القَرابَـةُ فى بُطْـلٍ يُحـابيها
٦١) وتِلْكَ قُـوّةُ نَـفْس لـو أرادَ بها شُمَّ الجِبـال لما قَـرّتْ رَواسيها

(عمـر وخالـد بـن الوليـد)

وتحت هذا العنوان يتناول الشاعر ما كان من موقف عمر بن الخطاب تجاه خالد بن الوليد وعزله وهو فى قمة إنتصاره بعد أن خاض ثلاثين معركة فى بلاد الفرس والروم مبينا موقف خالد من أمر عمر ، والدوافع وراء هذا العزل مقررا أن الله نزه الفاروق عن النقائص والأغراض ، وأن خالدا كان يدرى أن صاحبه قد وجه النفس نحو الله توجيها .. إنه يقول :

٦٢) سَلْ قاهرَ الفُرْس والرُّومان هل شَفَعَتْ لـه الْفتـوحُ وهـل أَغْنَـى تَـوَاليها

---

(٥٣) ما أقلت أبا سفيان : أى : ما صفحت عنه ولا تجاوزت عما فعله من إخفاء الهدية عنك .
(٥٤) الحسب : ما يعده المرء من مناقبه أو شرف آبائه .
(٥٥) البيت كناية عن أبى سفيان ، والمفرق وسط الرأس . يدانيها : يقرب منها .
(٥٦) نوّه به : أشاد ومدح وعظم . وسيد الكونين كناية عن رسول الله ﷺ .
(٥٧) غاشيها : داخلها . ويشير إلى قول الرسول ﷺ « من دخل البيت الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » . وقوله : بعد البيت : أى بعد البيت الحرام .
(٥٨) هفوة : سقطة وزلّة .
(٥٩) ترخّص فى الأمم : تساهل وتهاون . والخطّاب : أبو عمر . والشاعر يقول :
إن عمر لا يتساهل فى الحق حتى ولو كان الخطاب هو الذى هفا
(٦٠) الحَسَابة : الحَسَب ، والبُطْل : الباطل .
(٦١) شم الجبال : المرتفعة ، والرواسى : الثابتة الراسخة .
(٦٢) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد .

٦٣) غَزَا فأبلى وخَيْلُ اللهِ قد عُقدتْ بالْيُمنِ والنّصرِ والبشرى نَواصيها
٦٤) يَرْمى الأعادِى بآراءٍ مُسَدَّدَةٍ وبالفَوارسِ قد سالَتْ مَذاكِيها
٦٥) ما وَاقَعَ الرُّومَ إلّا فَرَّ قَارِحُها ولا رمَى الفُرْسَ إلاّ طاش راميها
٦٦) ولَم يَجُزْ بَلْدَةً إلا سَمِعْتَ بها اللهُ أكبرُ تَدْوى فى نَواحيها
٦٧) عشْرُونَ مَوْقعَةً مَرّتْ مُحَجَّلَةً منْ بَعْد عَشْرٍ بَنانُ الفَتْحِ تُحْصيها
٦٨) و(خالدٌ) فى سَبِيل اللهِ مُوقِدُها و(خالِدٌ) فى سَبِيل اللهِ صَالِيها
٦٩) أتاهُ أمْرٌ (أبى حفصْ) فقبّله كما يُقبِّلُ آى اللهِ تاليها
٧٠) واستَقْبَلَ العَزْلَ فى إبّانِ سَطْوَتِه ومَجْدِه مُسْتَرِيحَ النَّفْس هاديها
٧١) فاعْجَبْ لسَيِّد مَخْزُومٍ وفارسِها يومَ النِّزال إذا نادَى مُناديها
٧٢) يَقُودُه حَبَشِىٌّ فى عمامَتِه ولا تُحرِّكُ مَخْزُومٌ عَوَالِيها
٧٣) أَلْقَى القِيادَ إلى الجَرّاحِ مُمْتَثِلا وعزّةُ النَّفْسِ لَم تُجْرَح حَواشيها
٧٤) وانضَمَّ للجُنْد يَمْشى تحتَ رايتِه وبالحياة إذا مالتْ يُفدّيها

---

(٦٣) النواصى جمع ناصية . وفى البيت اقتباس من الحديث الشريف : « الخيل معقود بنواصيها الخير » والباء كما ترى داخلة على النواصى ولكن الشاعر أدخلها على اليُمن » فقلب ، والقلب سماعى فى اللغة .

(٦٤) كان خالد – رضى الله عنه – قائدا سديد الرأى إلى جانب خبرته الحربية . إنه يرمى أعداءه بآرائه المسدّدة وخططه الحربية الموفقة ، وبالجيوش الجرارة التى تسيل كالماء فتملأ الوادى . والمذاكى : الخيل التى كمل سنها واكتملت قوتها ، وانسيال المذاكى : كناية عن انتشارها وكثرتها تشبيها بانسيال الماء .

(٦٥) القارح : القوى المكتمل منهم . طاش : اضطرب وانحرف ، ويقال : طاش السهم ونحوه عن الهدف ونحوه : مال وانحرف فلم يصبه ، ويقال لم ضل ويخطىء الصواب : طاش سهمه .

(٦٦) تدْوى : المسموع تُدوّى (بتشديد الواو) أى : يرتفع الصوت بها .

(٦٧) مُحجّلة : مشرقة واضحة يتألق النصر فيها للعيان . والمراد : أن خالدا ظفر فى ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح .

(٦٨) صاليها : أى مشعل نارها . أو مقاس حرها وشدتها فى سبيل الله .

(٦٩) أمر أبى حفص : أمر عمر بعزله .

(٧٠) إبان وقت . والسطوة : البأس والشدة والانتصار . أى : جاءه العزل فى قمة النصر .

(٧١) مخزوم : قبيلة خالد . وسيد مخزوم : كناية عن خالد . والنزال : الحرب .

(٧٢) الحبشى : هو بلال بن رباح . فعندما استحيا أبو عبيدة من تنفيذ أمر عمر قام بلال بتنفيذ أمر عمر فى خالد فجرّد بعمامته فهدّها ووضعها فى رقبته ثم أعادها ثانية إلى رأسه وقال : نطيع أمراءنا ، ونكرم سادتنا . والعوالى : الرماح . وتحريكها : كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد .

(٧٣) ألقى القياد : أى ألقى فارس مخزوم القياد ، وسلم خالد الزمام لأبى عبيدة ممتثلا أمر عمر عزيز النفس راضيا فيما هو إلا جندى يضعه القائد حيث يرى .

(٧٤) لقد انضم خالد إلى الجيش جنديا محاربا تحت الراية الإسلامية يفديها بروحه ، ولم يتخل عن واجب له بعد العزل .

٧٥) وما عَرَتْه شُكُولٌ فى خَلِيفَتِه ... ولا ارتضَى إمْرَةَ الجَرّاحِ تَمْوِيها

٧٦) فخالدُ كان يَدْرى أنّ صاحِبَه ... قد وَجَّهَ النَّفْسَ نَحو الله تَوْجِيها

٧٧) فما يُعالِجُ مِنْ قَوْلٍ ولا عَمَلٍ ... إلّا أرادَ بــه للنّــاسِ تَــرْفِيها

٧٨) لذاكَ أوْصَى بأولادٍ له (عُمَراً) ... لمّا دَعاهُ إلى الفِـرْدَوْس داعيها

٧٩) وما نَهَى (عُمَرٌ) فى يوم مَصْرَعه ... نِساءَ مَخْزومٍ أنْ تَبْكى بَـواكيها

٨٠) وقيل : خالَفْتَ يا (فارُوقُ) صاحِبَنا ... فيه وقد كان أعْطَى القَوْسَ بـاريها

٨١) فقال : خِفْتُ افتِتانَ المُسْلِمِين به ... وفتْنَةُ النَّفْسِ أعيَتْ مَنْ يُـداويها

٨٢) هَبُوه أخْطَأَ فى تأْوِيلِ مَقْصِده ... وأنّها سَقْطَـةٌ فى عَيْـنِ نــاعيها

٨٣) فلَنْ تَعيبَ حَصِيفَ الرأى زَلّتُه ... حتّى يَعيبَ سُيُوفَ الهِنْد نـابيها

٨٤) تالله لَمْ يَتَّبِعْ فى (ابن الوَلِيد) هَوًى ... ولا شَفَى غُلَّةً فى الصَّدْر يَطْـويها

٨٥) لٰكِنّه قد رَأَى رَأْياً فأتْبَعَه ... عَزِيمَـةً منـه لم تُثْلَـمْ مَـواضيها

---

(٧٥) عرته : ألمت به . لقد حَارب بنفس راضية وهو لا يشك لحظة فى نوايا أمير المؤمنين تجاهه ، وكان الرضا يغمر قلبه فلم ينفذ الأوامر تمويها وخداعا لأبى عبيدة بن الجراح الذى تولى القيادة بعده .

(٧٦) صاحبه : هو عمر بن الخطاب .

(٧٧) ترفيها : رفاهية ورغدا وحياة سعيدة . أى أن ما تم من عزل وتولية كان هدفه الصالح العام .

(٧٨) إلى الفردوس : الجنة : فهو ولا شك سيف الله المسلول وبه قمعت الردّة وفتحت بلاد رفرف عليها علم الإسلام ، وذكر اسم الله عاليا .

(٧٩) يشير إلى ما روى عن عمر عندما بلغه اجتماع نسوة بنى المغيرة يبكين على خالد اثر وفاته فقال : « وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة » نقع : يقال : نقع الجيبَ : شقه . واللقلقة : الصوت فى حركة واضطراب ويقال للنوائح : لقلقة .

(٨٠) صاحبا : يريد أبا بكر . « فيه » أى : فى خالد . أعطى القوس باريها : مثل يضرب فى تفويض الأمر إلى من يحسنه ويجيده . والمقصود : أنّ أبا بكر قد اختار الرجل المناسب فى المكان المناسب فاستعانّ على الحرب بسيف الله ، فما بال عمر يعزله ؟

(٨١) ويجيب حافظ على لسان عمر .. إنه خوف الفتنة .. والفتنة عندما تحدث تعجز المداوين ، ولا علاج لها . فكان عزله إجراء وقائيا لصيانة الصف الإسلامى .

(٨٢) يوجه حافظ الخطاب إلى كل الذين شغلهم أمر العزل فيقول : هَبُوه : أى هَبُوا عُمَرَ .. أى افترضوا أنه أخطأ .. « فى عين ناعيها » : أى فرعين من ينعى عليه ذلك ويعده سقطة وزلة .

(٨٣) حصيف الرأى : جيده ومحكمه . نابيها : أى ما ينبو من سيوف الهند ويَكِلّ ويرتدّ . والمراد : أن من عرف بالحكمة فى الرأى لا تعيبه زلّةٌ كما لا يحط من قدر سيوف الهند أن ترتد مرة وتنبو فلا تقطع ، فلكل جواد كبوة ، ولكل صارم نبوة !

(٨٤) يقسم بالله على أن هذا العزل لم يصدر عن هوى ، ولا شفاء لحقد دفين .

(٨٥) المواضى : السيوف القاطعة . لم تُثلم : لم تكسر أشفارها .

٨٦) لَمْ يَرْعَ فى طَاعة المولَى خُتُولَته ... ولا رَعَى غيرَها فيما يُنافيها

٨٧) وما أصَابَ ابنُه والسوْطُ يأخُذُه ... لَدَيْهِ منْ رَأْفَةٍ فى الحَدِّ يُبْديها

٨٨) إن الّذى بَرَأ (الفارُوقَ) نَزّهَه ... عن النّقائص والأغْراضِ تَنْزيها

٨٩) فَذَاكَ خُلْقٌ منَ الفردَوْس طينَتُه ... اللهُ أودَعَ فيها مـا يَنَقّيها

٩٠) لا الكبْرُ يَسكُنُهَا ، لا الظُّلْمُ يَصْحَبُها ، ... لا الحقْدُ يَعْرفُها ، لا الحرصُ يُغويها

---

(٨٦) ختُولته : أى ختولة قبيلة خالد لعمر : فأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . فيما ينافيها : أى فى معصية المولى فعمر كان لا يخشى فى الله لومة لائم .

(٨٧) والدليل على هذا أن ابنه عبد الرحمن لم ينل منه رأفة والسياط تأخذ من جسمه حيث أقام عليه الحد فى شرب الخمر ، وقد مرض بعد ذلك ومات .

(٨٨) برأ : خلق .

(٨٩) من الفردوس طينته : كناية عن طهره .

(٩٠) يُغويها : يُضِلُّها .

(عمـر وعمـرو بـن العـاص)

كان شأن عمر مع عماله أن يصادرهم فى أنصاف أموالهم ؛ لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما حق للمسلمين ، فينبغى أن يؤخذ منهم ، ويرد لبيت المال .

فعل هذا عمر مع من لديهم ثروة لم يعلم مصدرها . وقد كتب إلى عمرو بن العاص : إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر فكتب إليه عمر : إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا ، فكتب إليه : إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلىّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤت بك ظنا ، وقد وجهت إليك محمد ابن مسلمة ليقاسمك مالك، فأطلعه عليه ، وأخرج إليه ما يطالبك به ، وأعفه من الغلظة عليك ، فلم يسع عمرو بن العاص إلا الخضوع لما أمره به !

ويقول حافظ :

٩١) شاطَرْتَ داهيَةَ السُّواس ثرْوَتَه ... ولَمْ تَخَفْه بمصْرٍ وهُو واليِها

٩٢) وأنْتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فى حَواضِرِها ... ولستَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فى بَواديها

٩٣) لَمْ تُثبِت الأرضُ كابن العاص داهيَةً ... يَرْمِى الخُطوبَ برَأْيٍ ليسَ يُخْطيها

فلَمْ يُرِغْ حيلَةً فيما أَمَرْتَ به ... وقامَ (عَمْرٌو) إلى الأَجْمَال يُزْجيها

ولَم تُقِلْ عاملًا منها وقد كَثُرَتْ ... أَمْوَالُه وفَشَا فى الأَرْض فَاشيها

---

(٩١) داهية السُّوّاس عمرو بن العاص . والسُّوّاس : جمع سائس وهو من يسوس الناس ويقودهم . ويشير الشاعر إلى ما كان من أمر مشاطرة عمرَ ماله فلم يسعه عِلى دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسلمة ماله .

(٩٢) الحواضر : المدن والعواصم . البوادى : القرى والريف والصحارى والمراد : أن عمراً كانت له مكانته عند الجميع سواء منهم الحاضر والبادى .

(٩٣) الخُطوب : جمع خطب . أحداث الدهر ونوائبه . يخطيها : يخطئها وخففت همزتها . والمراد : صواب رأيه .

(٩٤) يُرِغ حيلة : أراغ : طلب . فلم يلتمس حيلة ماكرة . والأجمال : الجمال . يزجيها يسوقها إلى الخليفة لتكون من نصيب بيت مال المسلمين .

(٩٥) ولم تُقِل : ولم تُعْف أحدا من عمالك من مشاطرة ماله بل طبقت قرارك على الجميع دون استثناء . وفشا فاشيها : أى : كثر وانتشر هنا وهناك .

(عمـر وولـده عبـد الله)

مَرّ عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – بنُوقٍ قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها فقيل له : عبد الله . فساقها إلى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفى لها ، وأنه لولا جاهُه بين الناس ما قدر على إطعامها ! .

وكأنما أراد عُمَرُ – رضى الله عنه – أن يغلق الباب فى وجه كل من يستغلون السلطنة والنفوذ من الأقارب لمصالحهم الشخصية !!

وإلى ذلك يشير حافظ بقوله :

٩٦) وما وَفَى ابنُكَ (عبدُ اللهِ) أَيْنُقَه ... لمّا اطَّلَعْتَ عليها فى مـرَاعيها

٩٧) رأيتَها فى حماهُ وهى سارحةٌ ... مثلَ القُصور قد اهتزت أعاليها

٩٨) فقلتَ : ما كان (عبدُ الله) يُشْبِعُها ... لو لَمْ يَكُنْ وَلَدى أو كان يُرْويها

٩٩) قد استعانَ بِجاهِى فى تجارَته ... وباتَ باسِم (أَبِى حَفْصٍ) يُنَمِّيها

١٠٠) ردوا النِّياقَ لبَيْت المالِ إنّ له ... حَقَّ الزِّيادة فيها قَبْـل شاريها

١٠١) وهذه خُطَّةٌ لله واضِعُها ... رَدَّتْ حُقوقاً فأَغْنَتْ مُسْتَمِيـحيها

١٠٢) ما الإشتراكيّةُ المَنْشُود جانِبُها ... بينَ الوَرَى غَيْرَ مَبْنَى منْ مَبانيها

١٠٣) فإن نكنْ نَحْنُ أَهْليها ومَنْبَتَها ... فإنّهـمْ عَرَفُوهـا قَبْـلَ أَهْليهـا

---

(٩٦) الأينق : النياق جمع ناقة .

(٩٧) اهتزت أعاليها : كناية عن سمنها وامتلاء أسنمتها .

(٩٨) أى لولا وجاهته وأنه ابن الخليفة ما قدر على حسن تربيتها .

(٩٩) ينميها : يزيدها . مستغلا مكانته منى .

(١٠٠) إن بيت المال أولى بهذه الزيادة التى لم تأت عن جهد شخصى .

(١٠١) أغنت مستميحها : أى أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمذلة السؤال .

(١٠٢) إن المذهب الإشتراكى ما هو إلا فرع من هذه الخطة التى سار عليها عمر .

(١٠٣) إن نكن – نحن العرب – أهل هذه الخطة وفينا نبتت فإن غيرنا قد عرفها وعمل بها قبلنا – وإن تنوعت أشكالها واختلطت مفاهيمها فى الشرق والغرب وأسىء تطبيقها – فنحن أحق بها وأهلها كما طبقها عمر – رضى الله عنه ، نابعة منا لا مستوردة .

(عمر ونصر بن حجاج)

كان عمر – رضى الله عنه – يَعُسُّ ليلة ، فسمع امرأة تقول :

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربها أم هل سبيلٌ إلى نَصْرِ بن حجاجِ ؟!

فلما أصبح سأل عن نصر هذا وأرسل فى طلبه ، فلما جيء به وجده من أحسن الناس شعراً ، وأصبحهم وجهًا ، فأمره أن يطم شعره ( ) ففعل ، فظهرت جبهته فازداد حسنا ، فأمره عمر أن يعْتَمّ ، ففعل ، فازداد حسنا ، فقال عمر : لا !! والذى نفسى بيده لا تكون بأرض أنا بها ، وأمر له بما يُصْلحه ، وسيّره إلى البصرة ، ولا ذنب له فى جماله ، وإنما أراد عمر أن يقضى على الفتنة فى مدينة الرسول ﷺ وإلى هذا يشير حافظ بقوله :

١٠٤) جنى الجمالُ على (نَصْرٍ) فغرَّبه عَنِ المَدينةِ تَبْكِيه ويَبْكيها

١٠٥) وكَمْ رَمَتْ قَسَماتُ الحُسْنِ صاحِبَها وأتْعَبَتْ قَصَباتُ السَّبْقِ حاوِيها

١٠٦) وزَهْرَةُ الرَّوْضِ لولا حُسْنُ رَوْنَقِها لَمَا استطالَتْ عليها كفُّ جانيها

١٠٧) كانت لَه لِمَّةٌ فَيْنانَةٌ عَجَبٌ على جَبِينٍ خَلِيقٍ أن يُحَلِّيها

١٠٨) وكان أنَّى مَشَى مالَتْ عَقَائِلُها شَوْقاً إليه وكادَ الحُسْنُ يَسْبِيها

١٠٩) هَتَفْنَ تحتَ الَّيالى باسمِه شَغَفًا وللحسان تَمَنٍّ فى لَيَاليها

١١٠) جَزَزْتَ لمَّتَه لمَّا أُتِيتَ به ففاقَ عاطلُها فى الحُسْنِ حالِيها

---

(١٠٤) نصر : هو نصر بن حجاج .

(١٠٥) قسمات الحُسن : مجاليه . وقصبات السبق : ما ينصب فى ميدان السباق . فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق . وحاويها : من يحويها ويحوزها ويناها . ولا يكون ذلك إلا بعد تعب .

(١٠٦) قد يكون الجمال سببا فى الجناية على صاحبه .

(١٠٧) لِمّة (بكسر اللام وميم مشددة) شعر يجاور شحمة الأذنين والجمع : لِمم . وفينانة : طويلة حسنة . خليق . جدير .

(١٠٨) عقائلها : أى كرائم نساء المدينة . الواحدة : عقيلة . يسبيها : يأسرها .

(١٠٩) شغفًا : يقال شغف به أحبه وأولع به .

(١١٠) عاطل اللمة : المجرد منها . وحاليها : المتزين بها . أى فبدا أجمل مما كان قبل جزها وقصها .

١١١) فَصِحْتَ فيه : تَحَوَّلْ عن مَدينَتِهِمْ فإنّهـــا فتنَـــةٌ أخشَى تَمـــاديها

١١٢) وفتْنَةُ الحُسْن إنْ هَبَّتْ نوافحُها كِفتنَة الحَرْب إنْ هَـبَّتْ سَوافيها

---

(١١١) أراد عمر – رضى الله عنه – بهذه الصرامة الحازمة أن يحارب فى نفوس العرب كل ضعف يجعل للهوى سلطانا عليها ذلك بأن القوة روح الإسلام وجوهره .

(١١٢) نوافحها : أى روائحها الطيبة ، جمع نافحة ، ويمكن أن تكون بالجيم . نفجت الريح : هبت عاصفة . وسوافى الحرب : عواصفها يقول : إن الحسن يفعل فى النفوس بلطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدتها . ويرويه بعض الأدباء نقلا عن حافظ « لوافحها » باللام مكان نوافحها بالنون . واللوافح : الرياح الحارة المحرقة جمع لافحة ، والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر .

(عمـر ورسـول كسـرى)

يروى أن رسول كسرى لما وصل إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى إلى قصره ، فعلم أنه لا يسكن قصرا ، وإنتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب ، وهناك كان الخليفة العظيم راقداً على الرمل أمام البيت ، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه ، ولم يكن حوله من مظاهر الحياة ما يميزهُ من أصغر فرد فى رعيته ، فلما رأى ذلك دهش ووقف أمامه خاشعا وقال : عبارته المعروفة : عدلت يا عمر ، وأمنت فنمت ، وإلى هذه القصة يشير حافظ بقوله :

١١٣) وَراعَ صاحبَ (كسْرَى) أنْ رَأى عُمَرًا ... بَيْـنَ الرَّعيّـة عُـطْلًا وهـو راعيها

١١٤) وعَهْدُه بمُلُوك الفُرْسِ أنّ لها ... سُورًا من الجُنْد والأحراسِ يَحميها

١١٥) رآه مُسْتَغْرقًا فى نَوْمه فَرأى ... فيه الجَلالَـة فى أسْمَى مَعـانِيها

١١٦) فوقَ الثَّرى تحتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا ... بُـرْدَةٍ كادَ طُـولُ العَهْـدِ يُبْـلِيها

١١٧) فهانَ فى عَيْنِه ما كان يُكْبِرُه ... مِـنَ الأكاسرِ والدّنيـا بأيْـديها

١١٨) وقال قَوْلَةَ حَقٍّ أصْبَحَتْ مَثَلًا ... وأصْبَحَ الجِيلُ بَعْدَ الجِيل يَرْويها :

١١٩) أمِنْتَ لمّا أقَمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُ ... فنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ العَيْنِ هـانِيها

---

(١١٣) عُطْلاً : متجردا من مظاهر الأبهة والملك التى يراها الفُرس على ملوكهم .

(١١٤) الأحراس : الحوس .

(١١٥) الجلالة : العظمة .

(١١٦) الثرى : التراب . والدوح : جمع دَوْحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . واشتمل بالبردة : التف بها . وهى كما بدت تكاد تبلى من طول ما استعملت .

(١١٧) هان صغر . ويُكْبِره : يعظمه . والأكاسر : الأكاسرة ملوك الفرس . صغر فى عين رسول كسرى ما كان يراه عظيما أمام عظمة عمر .

(١١٨) مثلا سائرا يروى على كل لسان .

(١١٩) – قرير العين : راضياً مسروراً وفى التنزيل العزيز: ﴿ كى تَقَرّ عينها ولا تحزن ﴾ .

(عُمَـر والـشـورى)

كان عمر ممن يأخذون بالشورى فى أمورهم ، وكان يقول : لا خير فى أمر أُبْرم من غير شورى . وهو أول من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة ؛ فقد سئل عندما طُعِنَ عمّن يوصى به بعده فقال للمقداد بن الأسود : إذا وضعتمونى فى حفرتى فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة – إن قدم – وأحضِر عبد الله بن عمر ، ولا شيء له من الأمر ، وقم على رءوسهم ؛ فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا ، وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم ، وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فإن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف . واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس ، وإلى هذه القصة يشير الشاعر :

١٢٠) يا رافعًا رايةَ الشُّورَى وحارسَها ... جَزاكَ رَبُّكَ خَيْراً عن مُحبِّيها

١٢١) لِمَ يُلْهِكَ النَّزْعُ عن تأييد دَوْلَتِها ... وللمنيَّةِ آلامٌ تُعانيها

١٢٢) لَمْ أُنْسَ أَمْرَكَ للمِقْداد يَحْملهُ ... إلى الجَماعةِ إنْذارا وتَنْبيها

١٢٣) إنْ ضَلَّ بَعْدَ ثَلاثٍ رأيُها شُعَباً ... وللمنِيَّةِ آلامٌ تُعانيها

١٢٤) فَاعَجبْ لقوّةِ نَفْسٍ ليس يَصْرِفُها ... طَعْمُ المَنِيّة مُرأً عن مَرامِيها

١٢٥) دَرَى عَمِيدُ بَنِى الشُّورَى بمَوْضِعها ... فعاشَ ما عاشَ يَبْنِيها ويُعْلِيها

١٢٦) وما استَبَدَّ برأْيٍ فى حُكومَتِه ... إن الحُكومَةَ تُغْرِى مُسْتَبِدِّيها

١٢٧) رأَى الجَماعة لا تَشْقى البِلادُ به ... – رَغْمَ الخِلاف – ورَأْى الفَرْد يُشْقيها

---

(١٢٠) كان عمر – رضى الله عنه – أول من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة . وكان النبى ﷺ أول من نفذ أمر الله بالشورى ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾ وجاء عمر فعمل على أن تظل راية الشورى مرفوعة بعد رسول الله ﷺ .

(١٢١) دولتها : أى دولة الشورى . والنزع : الإشراف على الموت . والمنية الموت .

(١٢٢) المقداد بن الأسود . والجماعة : على وعثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وطلحة .

(١٢٣) بعد ثلاث : أى بعد ثلاث ليال . شعباً متشعبا ومفترقا . والهوادى : الأعناق .

(١٢٤) مراميها : ما كانت ترمى إليه ، وأهدافها .

(١٢٥) عميد بنى الشورى : عمر رضى الله عنه

(١٢٦) استبّد برأى : انفرد .

(١٢٧) وقد رأينا – ما يحل بالبلاد من هزائم ونكبات بسبب رأى الفرد المستبد .

(مثـالٌ مِـن زُهـدِهِ)

تحدث الجميع بزهد عمر في الدنيا وزينتها ورغبته فيما عند الله .

ويُروى أن عمر – رضى الله عنه – لما انجه إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجع ، فنزل عنه ، وأتى ببرذون (نوع من الدواب دون الخيل وأقوى من الحُمُر) فهزه ، فنزل ، فضرب وجهه بردائه ، ثم قال : قبّح الله من علّمك ! . هذا من الخيلاء !

ثم دعا بفرسه بعد أن استجمّ واستراح من عناء الطريق فركبه حتى انتهى إلى بيت المقدس ، ولم يركب برذونًا قبل ذلك ولا بعده أبداً !! وإلى ذلك يشير حافظ بقوله :

١٢٨) يا مَنْ صَدَفْتَ عن الدُّنيا وزينَتِها ... فلَمْ يَغُرَّكَ مِنْ دُنْياكَ مُغْرِيها

١٢٩) ماذا رأيتَ بباب الشام حين رَأَوْا ... أنْ يُلْبِسوكَ من الأثْواب زاهيها

١٣٠) ويُرْكِبُوكَ على البِرْذَونْ تَقْدُمُه ... خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تخلُو مَرائيها

١٣١) مَشَى فهَمْلَجَ مُخْتالا براكِبِه ... وفى البَراذينِ ما تُزْهَى بعَالِيها

١٣٢) فَصِحْتَ : يا قومُ ، كادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنى ... وداخَلَتْنِـى حـالٌ لستُ أُدريها

١٣٣) وكادَ يَصْبُو إلى دُنْياكُمُ (عُمَرٌ) ... ويَـرْفَضى يَنْـعَ باقيـه بفانِيهـا

١٣٤) رُدُّوا ركابى فلا أُبْقِى به بدَلاً ... رُدُّوا ثيابى فحَسْبى اليومَ باليها

---

(١٢٨) صدفت : أعرضت وصَدَفْت .

(١٢٩) زاهيها : ما صفا منها وأشرق .

(١٣٠) مطهمة : متناهية الحُسن ، كريمة أصيلة . مرائيها : مناظرها .

(١٣١) الهملجة : حسن السير فى تبختر . وأُزْهِى (بالبناء للمجهول) : اختال . وعاليها : راكبها .

(١٣٢) أحس عمر بشىء غريب عليه . والزهو : التيه والتعاظم والافتخار .

(١٣٣) يصبو : يميل .

(١٣٤) رِكابى : فرس . باليها قديمها . وحسبى : كافينى .